حين يتحدّث الناس عن اليابان أو ألمانيا أو تركيا كنماذج لدول نهضت بعد دمار شامل  
ويطلبون من مصر أن تصبح كذلك  
هذا طلب ظالم  
-  
لماذا  
اليابانيون حين تهدّمت دولتهم كانوا بالأمس امبراطوريّة تتاخم أمريكا في المحيط الهادي وتحاربها علي جزر وسط المحيط والتي تحتاج أنت للوصول إليها من شاطئ اليابان الشرقي كما تحتاج للسفر من دبي إلي موريتانيا مثلا  
هذه الدويلة التي قد لا تنتبه لها علي الخريطة كانت تحتلّ الصين التي تتربّع علي النصف الأيمن من جنوب خريطة العالم  
كان الشاب الياباني يذكر ان والده كان فارسا وقائدا وفاتحا و و و و  
-  
أمّا ألمانيا فقد كانت قبيل سقوطها قاب قوسين أو أدني من احتلال العالم  
غزا هتلر روسيا بثلاثة ملايين جندي  
والتقطت له صورة أمام إيفل  
وأجبر قادة فرنسا علي التفاوض معه في عربة قطار جهّزها إذلالا لهم وحطّا من شأنهم  
-  
كان لهتلر جنود يقلون البيض علي متن الدبابات في العلمين  
وجنود آخرون يتبرّزون من خلال ثقب في سراويلهم في روسيا إذ أن الأطبّاء أخبروهم أنّه من يخلع سرواله سيموت من البرد  
-  
استخلص هتلر وقودا سائلا من الفحم وهو ما قد تعجز عنه تكنولوجيات اليوم  
صنع في ألمانيا الصاروخ في وان والذي تهافتت عليه روسيا وامريكا بعد دخول المانيا وبناءا علي ما تبقي منه أكملت كل من روسيا وأمريكا التكنولوجيا الألمانية واحتاجوا عشرين عاما ليصلوا بها إلي الفضاء أيّ أنّ ألمانيا كانت أقرب إلي الفضاء منهما بما يزيد عن العشرة أعوام  
كانت الورشة البافارية في المانيا  
Bavarian Motors Workshop  
BMW  
تصنع محرّكات الطائرات من مئة عام  
وكان اسمها ورشة  
هذا ما كانت تصنعه الورش  
بينما المصانع كانت تصنع الغواصات والدبّابات  
-  
قبل الحرب العالمية الاولي بمئة عام  
كان المواطن الالماني بنز يقود سيارته في المانيا  
وكذلك كان المواطن دايلمر يقود سيارته  
ثمّ اسسا شركة مرسيدس  
في حين كان الجميع في العالم يركبون أرجلهم  
وكان رؤساء الدول يحتاجون لذوات الاربع لجرّ سيّاراتهم  
-  
هذا ما قد يذكره الأب الجريح لابنه في المانيا  
هذا هو تاريخ أبيه الحي وجدّه الذي رآه قبل أن يموت  
وقد يكون هذا الطفل ذاته من جنود هتلر الذين جنّدهم في سن الخامسة عشر أو دونها او فوقها بقليل  
-  
أمّا تركيا فقد كانت منذ مئة عام تحكم العالم  
هذه التي كان يخافها الروس ويهابها الانجليز ويوقّرها الفرنسيّون  
أولئك الذين بسطوا عباءة ملكهم علي شرق المعمورة وغربها  
خطّطت الدولة العثمانية لقطار الشرق وهو ما يضاهي القطار الدولي في اوروبا قبل أن ينشأ قطار أوروبا بمئة عام أو يزيد  
هذا هو التاريخ الذي قد يرويه الأب التركي لابنه بعد سقوط الخلافة وإبّان معاصرة فترة ضعف تاريخي  
-  
هذا الطفل وهذا الشاب وهذا الرجل في تركيا وألمانيا واليابان لا يستغرب أن يفعل هذه المعجزة وأن ينهض ببلده بعد كبوة  
-  
الهند كانت علي شفا انقلاب عسكري لولا أن سخّر لها الله قائد للجيش رفض اضطهاد الشعب ثم لم يخرج بعد ذلك ليطالب الشعب ان ينتخبه لأنّه أحسن إليه من ذي قبل  
-  
أمّا هنا في مصر حيث للحديث شجون فإنّ المواطن المصري يدرس في الابتدائية ان وطنه احتله الهكسوس في عهد الفراعنة  
ويدرس انه كان بالاصل مقسم ووحّده مينا  
ويدرس أن اجداده منهم من عبد البقر والشمس والكلب والصقر  
ومنهم من صنعت له تماثيل بجسد أسد ومنهم من صنعت له تماثيل برأس كلب  
ثم يمتدّ به التاريخ فيدرس أنّ اليونان احتلت بلده ثم يدرس ان الايطاليين جاؤوا من روما ليقيموا الدولة الرومانية  
وجاء الاسكندر من هنا وجاء اوكتافيوس أو يوليوس قيصر من هناك  
وان كليوباترا مليكة عرش بلاده سيقت في روما كما تساق البهائم  
ولا يستبعد أنّها كانت مطيّة لأحد ملوكهم بعد هزيمتها وحليفها أمامه  
ثمّ ندرس أنّنا تعرّضنا لاحتلال المغول والصليبيين ودحرناهم بعد ان أمضوا في بلادنا السنين  
حتي اذا وصل بنا تاريخنا الي ان يحكمنا العبيد من المماليك تارة برجيّتهم وتارة بحريّتهم  
وأنّ مليكتنا هذه المرّة قتلت ضربا بالقباقيب  
ثم يسمّون الخلافة العثمانية الاحتلال العثماني لمصر  
ويعللون لنا فوائد حملة الفرنسيين علينا  
ثم يحكون لنا ان واحدا جاء من البانيا التي لا نعرف موقعها علي الخريطة ليحكمنا وعائلته مئة وخمسين عاما  
ثم يذكرون لنا كيف جلد اجدادنا وقتلوا في دنشواي  
وكيف سيق أجدادنا كالمواشي لحفر القناة كما سيقوا من قبل لبناء الاهرامات  
ثم يذكرون لنا كيف كان الجنود الانجليز يغتصبون جدّاتنا كما في فيلم بورسعيد  
وكيف كان الجندي الانجليزي يدخل منزل احد اجدادنا ويضع خوذته امام الباب حتي اذا ما جاء جدّك المهاب وجد الخوذة انتظر الانجليزي حتّي يقضي حاجته ويخرج  
كيف ان الاسرائيليين نقلوا اباءنا في عربات قطار ذات قطبان ليمروا بهم في اسرائيل ويقذفهم الاطفال بالزجاجات المكسّرة  
وكيف أنّ بعض آباءنا حفروا لزملائهم مقابرهم ودفنوهم فيها وهم احياء ابان الاسر  
وكيف انهم حفروها بل لانفسهم  
كيف كانت الدبابات تمر علي الاسري لتقتلهم توفيرا لثمن رصاصة  
وكيف ان اليهود كانوا يدخلون الطعام للجيش الثالث المحاصر في الدفرسوار علي الحمير  
ثم تشاهد صورة جولدامائير بجوار لافتة الكيلو 26 القاهرة السويس  
وتعقد المفاوضات علي الكيلو 101 أي غرب القناة أي أنّ الجيش الاسرائيلي هو من عبر للغرب  
كيف ان مخابرات بلدك ابان انشغالها بتصوير المسؤولين في ليالي الانس  
غفلت عن حماية مصطفي مشرفة وسميرة موسي  
وكيف ان الخبراء الالمان تركوا مصنع الطائرات بعد تهديد الموساد لهم وعجز المخابرات المصرية عن حمايتهم  
كيف وضع رئيس روسيا يده بجوار يد عبد الناصر في افتتاح السد العالي  
اذ ان ثلثه كان من اموال الروس وبايد عمّال الروس  
كيف ضربت طائراتنا في ستة ساعات صبيحة حفل غناء ورقص في احدي القواعد العسكرية المصرية  
كيف كان عبد الناصر من مريدي ام كلثوم  
وكيف كان عامر من مريدي برلنتي عبد الحميد او وردة الجزائرية  
كيف تزوج صلاح نصر ممن طلقها من زوجها قهرا  
وكيف سجن نجيب سرور لما رفض ان يترك زوجته لاحد الواصلين ف البلد  
وكيف كان مشايخ البلد يعرّون كما ولدتهم امهاتهم ويجبرون علي الركض في ساحة السجن الحربي ويجبرون علي غناء رائعة ام كلثوم  
اجمل اعيادنا القومية  
بنجاتك يوم المنشية  
يا جمال يا مثال الوطنية  
كيف قيل للسادات ان في خلق السموات والسادات لايات  
وكيف قيل له افرم يا سادات  
كيف عاش اجدادك خائفين من البوليس السياسي في عهد الملك  
والبوليس الحربي في عهد عبد الناصر  
وامن الدولة في عهد مبارك  
واذا خرجت خارج حدود بلدك قليلا ستجد مشهدا محذوفا من فيلم عمر المختار يطلب القائد الايطالي امراة لقضاء شهوته فيختارون له احداهن ويقتادونها الي عربته فيفتح الباب وهو شبه عاري وياخذها ولخيالك ان يكمل  
كيف كانت جميلة بوحريد تغتصب من الفرنسيين  
وكيف كان الرجال الجزائريون يعلّقون علي اعواد بملابس عسكرية فرنسية في التجارب النووية الفرنسية لدراسة مدي مقاومة الزي العسكري الفرنسي للموجات النووية ومدي تاثيرها علي البشر  
هذا ما قد تقراه عن تاريخك  
ثم يقارنوننا بالالمان والاتراك واليابانيين  
لقد حمّلتم هذا الشعب أكثر من طاقته  
فلا عجب ان تراه يجري تجاه الاستعباد  
لقد شبّ وشاب عليه  
واختم بقصة العبد الذي كان سيّده يسئ اليه  
وجاء يوم وتحرر العبد ووقع في يده مال  
فسألوه ماذا تفعل بهذا المال  
قال لهم أشتري به سيّدا مهذّبا